شهادة حق — أيام السادات

مسألة متناهية الصعوبة.. أن يرضوا من شهدوا حقبة الرئيس السادات.. يرضوا عن فيلم تقدمه السينما عنها.. ذلك أن هؤلاء عاشوا أحداثها، وخبروا حقائقها ودقائقها - أو هكذا خيل لهم - في حين أن الفيلم الدرامي يحتاج لإحكام حبكته الفنية إلى الخروج بأحداثه عن مسارها الواقعي.. وهو إن فعل سيفقد قناعتهم وإقتناعهم به.. فإقبالهم عليه!!

كم إستعرت في عيوني طيور الدهشة إذ ألفيت حادثات الفيلم تغزل ثوب الحقيقة دون تشويه ولا تمويه.. حتى الأغاني التي كان يترنم بها أبطاله «ياريتني طلة» لفريد الأطرش، و«الفن مين شرفه غير الفاروق رعاه» لعبدالوهاب، ومشهد من فيلم «لعبة الست» لنجيب الريحاني.. كلها نتاج أواخر الثلاثينيات والأربعينيات المعاصرة للفيلم.. والذي نأى كلية عن حشد وسائل الإبهار المروجة له رغم أن سياقه التاريخي كان يسمح بها.. كمثل عرض، عديد من الرقصات المثيرة التي قدمتها الراقصة حكمت فهمي في استعراضاتها لقوات الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية.. وكذا إعادة إخراج بعض من أغاني أساطين الطرب المعاميد في ذلك الزمن البعيد من خلال حفلات أم كلثوم وعبدالوهاب وصالح عبدالحي.. إن الفيلم خال من الإبهار.. وإثارة الغرائز واللعب بالنار.. ومع ذلك فالزحف والزحام على مشاهدته على أشده.. لا فارق بين من عايش أيام السادات ووعاها عن ظهر قلب.. وبين من ولد بعدها ولم تشكل فترة ما في حياته.. أما من سر؟؟ هناك أسباب جوهرية لعل من أظهرها شخصية السادات وحياته.. أما عن شخصيته فإن عشرين سنة مرت على رحيله لم تفلح في تبريد حرارة الود والإعزاز التي يكنها أفراد شعبنا حياله.. هذه المشاعر هي المبرر الوحيد الذي دفع أي مواطن إلى التضحية بوقته وراحته مستقلا المواصلات العامة أو حتى سيارته في خضم هذا الإكتظاظ المروري وصولا إلى السينما ودفع تذكرة لاتقل عن عشرة جنيهات مضروبا في عدد أفراد الأسرة، ثم الجلوس على مقاعد ليست مريحة تماما طيلة مدة عرض الفيلم التي قاربت للمرة الأولى في تاريخ السينما المصرية ثلاث ساعات والوقوف بعد ذلك مشاركا لعاصفة مدوية من التصفيق.. كأن السادات مازال على قيد الحياة شاخصا أمامه!! ولا شك أن السادات كان ممسوسا بحب مصر.. وفي سبيلها ركب المخاطر والأهوال والتي بذل حياته في نهاينها قربانا لها.. بدءا من الاتصال بالقواد الألمان بعد اختراق جيوشهم الحدود المصرية خلال الحرب العالمية الثانية بغية الالتفاف حول القوات الانجليزية التي احتلت مصر منذ غزوها لها عام ١٨٨٢ دون بارقة أمل في الجلاء عنها وهو ما أطاح بوظيفته كضابط في الجيش المصري مع شدة حاجته لها.. لقلة ماله وكثرة عياله!! ثم ما لبث أن اشترك في اغتيال أحد غلاة المتشنجين لتبعية بلادنا لبريطانيا «أمين عثمان».. ولم يفته أن يتصدر حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأن يذيع في الإذاعة بصوته بيانها في وقت إسدلت ستائر التعتيم على كل الضالعين فيها تحسبا وترقبا لنتائجها.. وإذ تولى حكم مصر كانت المغامرة الكبرى في شنه حرب ١٩٧٣ رغم عدم تكافؤ العتاد وإنكسار كبرياء أهل البلاد!! تلى هذا اصراره بعد سنوات قلائل على الهبوط في اسرائيل مادا يده بالسلام لقوم لم يتورعوا من قبل عن الإجهاز على وسيط الأمم المتحدة الكونت دي برنادوت!! ولعمري أن هذه الشطحات الخرافية ما كانت لتأتى كلها لولا ما حبا الله السادات من روح أسرة وعلى نقيض الروح المسيطرة فإنها تغزوك من داخلك.. وتشعرك بالراحة.. لدى الانسجام معه سواء فيما عارضه أو ما أتاحه!! تجلى هذا في طول معايشته لسلفه عبدالناصر وتفرده دون زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة في الحفاظ على أصرة الود معه.. بل وفي خلافته له!! وتأكد هذا من ندم بني صهيون من توقيعهم معاهدة مع «أمكر العرب» كما وصفته جولدا مائير عادت إلينا بموجبها سيناء، الحبلة التي تفوق مساحتها اسرائيل ذاتها مقابل كلمتين «وعليكم السلام»!!

أما عن حياة السادات فإن فى تلونها وتباينها وتقلب صاحبها من تباع وسائق سيارة نقل متهم خلف القضبان إلى رئيس جمهورية ما لا يجاريه خيال أمهر مؤلفى سيناريو الدراما!!

وبعد فقد ظن الكثيرون أن إكتساح الأفلام الكوميدية الأخيرة ـ وجلها ضاو طاهر الضحالة ـ إن هى إلا صحوة الموت للسينما المصرية حتى طلع علينا هذا الفيلم الجاد حيث سدد لكمة قاضية إلى منافسيها ومتربصيها من شتى القنوات والموجات وباللعجب!! بعير الولوغ فى محارم نهى عنها الخلاق ونبذتها الأخلاق وها أنذا أعيد ما رددته فى مقالى المنشور فى هذا المكان بأهرام ١٩٩٨/١٢/٧ يا سادة إن المستقبل الواعد للسينما هو فى أفلام تاريخية أبطالها مثل شرودة فريدة كسعد زغلول ومحمد نجيب أما أفلام الغرام والإجرام فقد برم المشاهدون من تكرارها واستهلاك جميع أفكارها ثم كم يبلغ أعداد متعاطيها من المراهقين بالنسبة لجماهيرنا العريضة والتى يجرى على لسان أى من آحادها قاله شوقى

لم تبق منا يا فؤاد بقية	لفتوة أو فضلة لعراك
اليوم تبعث فى جنين تهزنى	ما بعث الناقوس فى النساك!!

المستشار د . على فاضل حسن